المحاضرة الثامنة:

مدارس الأدب المقارن: العربية2

أهداف الدرس:

- التعرف على الانجازات التي قدمها محمد غنيمي هلال للدرس المقارن في الثقافة العربية.
- التعرف على أهم المقارنين في الثقافة العربية المعاصرة(طاهر أحمد مكي، عبد المنعم خفاجة، طه ندا، صفاء خلوصي....)
- استكشاف العلاقات التاريخية والتأثير المتبادل بين الآداب.
- تحديد مكانة الأدب العربي على الخريطة العالمية.
- التحول من البحث في "التأثير" إلى تحليل "المواقف الأدبية".

نص المحاضرة:

يرى سعيد علوش أن الدراسات المقارنة في الثقافة العربية مرت بمراحل ثلاث، أطلق على المرحلة الأول في **مرحلة التأسيس(1948-1960)** حيث يمثل هذه المرحلة ما قدمه كلا من **محمد غنيمي هلال ونجيب العقيقي وعبد الرزاق حميدة**، أما المرحلة الثانية فقد أطلق عليها اسم **مرحلة الترويج(1960-1970)** وقد مثلها كلا من الجزائري **جمال الدين بن الشيخ ومحمد عبد المنعم خفاجة** وغيرهم أما المرحلة الأخير فقد وسمها سعيد علوش **بمرحلة الرشد**(1970-1986) وهي محطة مهمة مثلتها كتابات ورؤى كلا من **طه ندا، وريمون طحان ومحمد عبد السلام كفافي**...، وبالتالي سنحاول هنا الوقوف عند انجازات هؤلاء في كل مرحلة وبطبيعة الحال سنبدأ بالمرحلة الأولى التي يعتبر روادها أول من حاول التأسيس لدراسات مقارنة في ثقافتنا العربية.

01- مرحلة التأسيس(1948-1960):

يعد محمد غنيمي هلال* واحد من بين أبرز النقاد في ثقافتنا العربية، فبفضل المقالات والكتب التي ألفها عرف النقد العربي ما يسمى اليوم بالأدب المقارن فقد وضع من خلال مؤلفه الأساسي "**الأدب المقارن**" (**1953**) أسساً واضحة لأهداف هذا الحقل الدراسي. وفي هذا يقول يوسف بكار "لقد شكلت كتابات محمد غنيمي هلال الريادة المنهجية في حقل الدراسات المقارنة

---

* - **محمد غنيمي هلال** 1917 ـ 1968م نال الثانوية الأزهرية عام 1937م؛ وقام بتدريس الأدب المقارن في كلية اللغة العربية في جامعة الأزهر في عام 1964م، إلى أن وقف بعضهم في وجهه بزعم أنه غربي الثقافة. للدكتور محمد غنيمي هلال تأثيراً حاسماً في تحديد مسار الأدب المقارن؛ كان الأدب المقارن قبل غنيمي هلال شيئاً غائماً في ذهن القارئ العربي، لا يعرف له تحديدا صحيحا، وكانت الدراسات التطبيقية المتناثرة في هذا المجال لا تقوم على أساس علميّ متين، ولا تُعْنَى بأكثر من المشابهات الخارجية بين عمل فني وآخر. **مؤلفاته في العربية** هي: «الأدب المقارن»، وظهرت طبعته الأولى في عام 1952م، وكتابه «الرومانتيكية» عام 1956م،و «النقد الأدبي الحديث» 1958م، و «الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية» وهو دراسات نقدية ومقارنة حول موضوع مجنون ليلى في الأدبين العربي والفارسي عام 1962م، و «دور الأدب المقارن في توجيه دراسات الأدب العربي المعاصر» عام 1962م، و «المواقف الأدبية» عام 1963م، و «في النقد المسرحي» عام 1963م، وفيه جمع مقالاته التي درس فيها مسرحيات قومية وعالمية، و «النماذج الإنسانية في الدراسات الأدبية المقارنة» عام 1964م، وبعد رحيله؛ ظهرت مؤلفاته: «دراسات ونماذج في مذاهب الشعر ونقده»، و «قضايا معاصرة في الأدب والنقد»، وفي «النقد التطبيقي والمقارن»، و «دراسات أدبية مقارنة.« **مؤلفاته في الفرنسية**؛ له رسالتاه: «تأثير النثر العربي في النثر الفارسي في القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين»، و «موضوع هيباتيا في الأدبين الفرنسي والإنكليزي من القرن الثامن عشر إلى القرن العشرين».

ترجماته عن الفرنسية: «ما الأدب؟» لسارتر، و «فولتير» للانسون، ومسرحية «رأس الآخرين» لمارسيل إيميه، ومسرحية «عدو البشر» لموليير، ومسرحية «بلياس وميليزاند» لماترلنك، و «فشل استراتيجية القنبلة الذرية» لميكنييه. وعن الفارسية؛ ترجم غنيمي هلال: «مجنون ليلى» لعبدالرحمن الجامي، و «مختارات من الشعر الفارسي« وفور عودة غنيمي هلال إلى مصر؛ انخرط في الحياة الأكاديمية أستاذا للنقد والأدب المقارن في كلية دار العلوم في جامعة القاهرة، وفي كلية الآداب في جامعة عين شمس، واللغة العربية في جامعة الأزهر.(أحمد درويش : نظرية الأدب المقارن وتجلياتها في الأدب العربي، ص ص35-36.)

في الوطن العربي. يشكل كتابه الضخم الذي يقع في حوالي 469 صفحة أول دراسة مقارنة من منظور منهجي مقارن يتأثر خطى المدرسة الفرنسية وقد كانت دراسات هلال الأخرى سواء أكانت المترجمة أم المؤلفة تصب في إطار توكيد أهمية الدراسات المقارنة وتضع لبنات أساسية في معمارها"[1] وقد قال فيه أيضا سعيد علوش في كتابه مدارس الأدب المقارن "اعتبر هذا الكاتب مؤسسا، يمتلك حماسا وقناعة للدرس المقارن الذي خصّه بحكم أستاذيته للمادة في جامعة القاهرة بجزء كبير من حياته كمحاضر ومؤلف في الميدان"[2].

تأثر محمد غنيمي هلال كثيرا بالمدرسة الفرنسية، خصوصا بروادها بول فان تيغم وفرانسوا غويار، ويظهر هذا واضحا في كتابه الأدب المقارن حين عرف الأدب المقارن قائلا: "مدلول الأدب المقارن **تاريخي** ذلك أنه يدرس مواطن **التلاقي بين الآداب** في **لغاتها المختلفة** و**صلاتها** الكثيرة المعقدة في حاضرها أو ماضيها وما لهذه **الصلات التاريخية** من **تأثير أو تأثر**، أيا كانت مظاهر ذلك التأثير والتأثر: سواء تعلقت **بالأصول الفنية** العامة للأجناس والمذاهب الأدبية أو التيارات الفكرية أو اتصلت **بطبيعة الموضوعات** ولمواقف والأشخاص التي تعالج أو تحاكي فن الأدب أو كانت تمس **مسائل الصياغة الفنية** والأفكار الجزئية في العمل الادبي أو كانت خاصة **بصورة البلاد** المختلفة كما تنعكس في آداب الأمم الأخرى بوصفها صلات فنية تربط بين الشعوب

[1] – يوسف بكار: الأدب المقارن، ص25.

[2] – سعيد علوش: مدارس الأدب المقارن، ص208.

والدول بروابط إنسانية تختلف باختلاف الصور والكتاب"[1] ، من خلال هذا التعريف تتضح روية غنيمي هلال فالجدية واضحة والمنهج والرؤية مبيّنة إنه يسعى إلى بناء مدرسة تنتهج من الدراسات المقارنة الفرنسية طريقها وتحاول أن تحاكي مختلف المبادئ التي تأسست عليها ولاشك أن نجاح غنيمي هلال في تأسيس هذا النوع من الدراسات المقارنة سببه تمكنه من عدة لغات، فبعد عودته من السوربون ألحّ على تقديم العديد من الدراسات في هذا المسائل سواء النظرية منها وحتى التطبيقية "ساند هذه الأعمال الأكاديمية قراءات نظرية كثيرة تكشف عنها قائمة المراجع الفرنسية والانجليزية والاسبانية والفارسية والعربية وهي مراجع تشف عند النظر إليها عن دقة واستيعاب وعن دأب جعل الدارس خلال فترة بعثته يحمل معه ما يراه ذخيرة لمستقبل الدراسات المقارنة من دوائر المعارف إلى الكتب المتخصصة في النقد الأدبي وتاريخ الأدب والأدب المقارن"[2] وبالتالي ففي نظرنا استكمل محمد غنيمي هلال **عدة الباحث المقارن** التي تحدثنا عن شروطها في المحاضرة الثانية فتمكنه من هذه **اللغات** هو شرط ضروري بالنسبة للمدرسة الفرنسية كي يصبح الباحث متخصصا في مجال المقارنة بل هو أمر ضروري كي تستوي المقارنة وكي نستطيع تحديد مواطن التأثير والتأثر بين الآداب، ولذا نجده في كتابه **الأدب المقارن** يصول ويجول في مختلف القضايا المتعلقة بنشأة "الأدب المقارن في أوروبا، والوضع الحالي للدراسات المقارنة في الجامعات هنا وفي الغرب، وعدة الباحث وميدان البحث في الأدب المقارن، وعالمية الأدب والعوامل التي تقف وراءها،

[1] – محمد غنيمي هلال : الأدب المقارن، دار نهضة مصر، مصر، ط9، 2008، ص13.

[2] – أحمد درويش : نظرية الأدب المقارن وتجلياتها في الأدب العربي، دار غريب، القاهرة، ط1، 2002، ص38.

والأجناس الأدبية من ملحمة ومسرحية وخرافة وقصة ومناظرات والصياغة الفنية لبعض الأجناس الأدبية والصور الفنية والمواقف والنماذج البشرية وتصوير الآداب القومية للشعوب الأخرى والمقارنة بين ذلك عندنا وفي بعض الآداب الأخرى"[1].

الانتقادات الموجهة لمحمد غنيمي هلال:

على الرغم من الإنجازات الكبيرة التي حققها محمد غنيمي هلال على مستوى التأسيس والتي لم تقف عند كتاب الأدب المقارن بل تعدت ذلك لمؤلفات ومقالات أخرى تنوعت بين ما هو مكتوب باللغة العربية وما هو مكتوب باللغة الفرنسية وما هو مترجم إلا أن العديد من النقاد يرون أن محمد غنيمي هلال وقع في العديد من الهفوات التي لم تطور الدرس المقارن العربي من بين هذه الهفوات الإصرار على الاعتماد على المنهج الذ اتبعته المدرسة الفرنسية وليس فقط الاعتماد وإنما الولاء التام للمدرسة الفرنسية وعدم الانفتاح على بقية المدارس كالأمريكية : لم يتجاوزها إلى مرحلة المدرسة النقدية الأمريكية التي بدأت في الظهور في نفس الفترة التي ظهر فيها كتاب غنيمي هلال (...) كما يؤخ كلك أن بعض أفكار غنيمي هلال تلتقي مع كتاب فرنسيين آخرين كتبوا قبله مثل فرانسوا غويار"[2].

---

[1] – ابراهيم عوض: في الأدب المقارن، مباحث واجتهادات، ص204.

[2] – أحمد درويش : نظرية الأدب المقارن وتجلياتها في الأدب العربي ص44.

02- مرحلة الترويج (1960-1970):

تعد هذه المرحلة مرحلة مهمة جدا كونها ترتبط بتاريخ مهم لمعظم البلدان العربية، فهذه الفترة هي فترة التحرر من الاستعمار ومحاولة بناء ذات تؤسس لمعاييرها الخاصة بعيدا عن مسألة المحاكاة فقط وهذه الفترة حسب ما أورده سعيد علوش كان من بين أبرز روادها المقارن الجزائري **جمال الدين بن شيخ*** وهو أحد أبرز النقاد الذين عرفتهم الثقافة العربية، هذا الاخير الذي قال عن موقع الجزيرة عند وفاته "غيّب الموت الباحث والكاتب والأكاديمي الجزائري جمال الدين بن شيخ، بعد مسيرة من العمل الأدبي نقل خلالها الموروث الثقافي العربي إلى الغرب. وتوفي بن شيخ عن عمر ناهز الـ75 عاما بعد صراع طويل مع مرض السرطان، بعد أن حقق حلم حياته الكبير في ترجمة جديدة لكتاب **"ألف ليلة وليلة"** وتعريف الغرب بالإبداع العربي. وكان بن شيخ الذي يعيش في فرنسا منذ مطلع السبعينيات قد استقال منذ خمس سنوات من التدريس الجامعي, واستطاع بمشاركة المستشرق أندريه ميكيل إصدار ترجمة جديدة لـ"ألف ليلة وليلة". عمل بن شيخ المولود في الدار البيضاء عام 1930 في جامعة السوربون مدرسا لمادتي الأدب العربي في القرون الوسطى

---

* - **جمال الدين بن شيخ**، نشأ في المغرب (الدار البيضاء و وجدة) في عائلة مكونة من خمسة أطفال، كان هو ثالثهم. بعد الدراسة في الثانوية الفرنسية ذهب إلى ليون وبدأ دراسة الطب ثم توقف عن دراسته بعد سنتين. وصل إلى الجزائر العاصمة، وتابع دراسات في اللغة العربية والقانون. ارتبط بصداقة مع الشاعر جان سيناك، حيث كرس كتابات عنه بعد مقتل هذا الأخير. وتابع دراسته للغة العربية ثم انتقل إلى باريس من عام 1956 إلى عام 1962. انضم للجيش الفرنسي، في سانت سير لتدريب الضباط الفرنسيين على القتال في الجزائر. ثم عاد إلى الجزائر بعد استقلالها، حيث اشتغل كمساعد ثم مدرس الأدب العربي في العصور الوسطى في كلية الآداب في الجزائر. نشر كتاب الشعر الجزائري الناطقة بالفرنسية، 1945-1965 مختارات تبقى أحد أهم المراجع الشعرية لهذه الفترة .قام أيضا بنشر مقالات أدبية وسياسية في العديد من المجلات الأسبوعية في الجزائر، قام بتجميعها في عام 2001 في كتاب بعنوان الكتابات السياسية (1963-2000).

والأدب المقارن."[1] وقال فيه أيضا نجم الدين خلف الله في مقال له بعنوان **جمال الدين بن الشيخ.. صوتٌ يذكّر بحداثة الأدب القديم** التي نشرها في **مجلة العربي الجديد** " قدّم جمال الدين بن شيخ أفضلَ التّرجمات لقصص "ألف ليلة وليلة"، رفقة أستاذه ورفيق دربه، المستعرب الفرنسي أندري ميكيل (1929). فقد اطّلعا على النّسخة السائرة بين الناس، بفضل أعمال أنطوان غالان (1646 . 1715)، ثمّ أضافا إليها مقاطعَ عديدة ممّا حذفه هذا المستشرق واعتَبرها خادشةً للحياء. ولم يكتفيا بترجمة "الليالي"، بل أعادا صياغَتَها في أسلوب معاصرٍ متخفّفٍ من أثقال البلاغة وصورها المتقادمة، مع الحفاظ على روحها الشرقيّة والتمسّك بالأصل كاملًا بعد أن عَبَثت به يد الرقابة الأخلاقيّة. وقد صدرت هذه الترجمة ضمن سلسلات LA PLEIADE التي تطبع أفخم النصّوص العالميّة."[2].

ما نستنتجه من الاقتباسات السابقة أن لجمال الدين بن شيخ دور مهم في كسر تلك الصور النمطية التي رسمها الغربي عن الشرقي وذلك بسبب الترجمة السيئة والمغلوطة التي قام بها أنطوان غولان وبالتالي فهو يقوم بنوع من تقديم القراء لتراثنا العربي بمنظور استراتيجيات جديدة أخذها من الفكر الغربي عندما كان طالبا في فرنسا "يعد نقد الاستشراق السمة الأبرز في جهود جمال الدين بن شيخ في مجال الدرس المقارن فقد سعى من خلال ترجمة نصوص إشكالية في التراث العربي إلى تفكيك القوالب النمطية الغربية لصورة الشرق ومحاولة تقديم قراءة جديدة لهذه النصوص

[1]- كتب المقال يوم 2005/08/10، https://www.aljazeera.net/culture/2005/8/10/

[2]- نجم الدين خلف الله: جمال الدين بن الشيخ.. صوتٌ يذكّر بحداثة الأدب القديم، مجلة العربي الجديد، 8أفريل 2022، https://www.alaraby.co.uk/culture

تنطلق من الهوية الثقافية العربية بعيدا عن الكليشيهات المتوارثة التي أنتجتها المدرسة الاستشراقية"[1] وبالتالي فهذه الدراسة كسرت نوعا ما التوجه العام الذي فرضته دراسات محمد غنيمي هلال الذي اعتمد فقط على المدرسة الفرنسية في تأسيس الدرس المقارناتي العربي. إنه توجه جديد يسعى إلى مواكبة المدرسة الأمريكية فهذه الرؤية شبيهة بما قدمه إدوارد سعيد في كتابه **الاستشراق** الذي حاول إماطة اللحاف الإيديولوجي المتخفي/الغامض وراء مؤسسة اسمها الاستشراق، والتي استطاعت من خلال مجموعة من النصوص (وصف مصر، أخلاق المصريين المحدثين وعاداتهم، رحلة في الشرق...) أن تصنع شرقا لغويا/نصيا، تحول عن طريق تجسيد تلك الطموحات الإمبريالية (نابليون، دي ليسيس...) إلى واقع جغرافي يسعى الأوروبي/الغرب إلى السيطرة/الهيمنة عليه.

اجتمع الباحثون على أسبقية النقاد والأدباء الجزائريين كأبو العيد دودو وجمال الدين بن شيخ وعبد المجيد حنون وغيرهم في مجال الأدب المقارن، وكان للجزائر في الثمانيات حضور كبير ضمن هذا المجال والدليل على ذلك المؤتمر الدولي الذي عقد في ماي سنة 1983 بمدينة عنابة، اجمع فيه الباحثون كما يرى ذلك عزالدين المناصرة في كتابه النقد الثقافي المقارن على ضرورة إنشا ء رابطة عربية للأدب المقارن وإنشاء مدارس ومجلات تختص بالأدب المقارن في ثقافتنا العربية، ويبقى السؤال الذي تبادر إلى ذهننا أين ذهبت كل هذه المجهودات التي بذلت من قبل جمال الدين بن الشيخ وغيرهم لتأسيس مدرسة في الأدب المقارن تؤسس لدراسات جديدة تفتح آفاقا متنوعة في

[1]- بوسكين هجيرة ، بدايات الدّرس المقارن الجزائري – قراءة في جهود "جمال الدّين بن الشّيخ" في مجال نقد الاستشراق والتّرجمة ، مجلة اللغة العربية، م24، ع4، 2022، ص356.

ثقافتنا، فقد أسس جمال الدين بن شيخ **مجلة دفاتر جزائرية للأدب المقارن** سنة 1967 والتي توقفت سنة 1968م وهي تعد من المحاولات المبكرة التي بادرت في تأسيس دراسات مقارنة في الثقافة العربية "هكذا نمنح للقارئ أول عدد من الدفاتر الجزائرية للأدب المقارن لقد اتخذ قرارها منذ عامين 1964 ومنذ تلك الفترة خصص كرسي للأدب المقارن بكلية الآداب الجزائرية وتكونت جمعية جزائرية للأدب المقارن إلا أن المجلة اختفت بعد أعداد قليلة غلبت عليها الطابع التطبيقي"[1] ومع أن هذه المجلة كانت مختلف محاولاتها تنتهج النهج الفرنسي إلا أنها كانت بمثابة نقلة للدرس المقارن فبفضل هذه المحاولات عرف الدرس المقارن تنوعا "في اتجاهات الأدب المقارن في الجزائر، الأمر الذي أسهم في إحداث تغيير في منهاج الدراسة، حيث حاول **أبو العيد دودو** تطبيق الاتّجاه الألماني في الدراسات الأدبيّة المقارنة، واتّجه رفقة بعض الباحثين إلى التركيز على مبحث **الصّوارئيّة**، فبحث في أدب **الرحالة والمستشرقين**، وجعل من هذه الدراسات المنطلق في فضح ادّعاءات المستعمرين وبعض المستشرقين حول صورة المجتمع الجزائري والعربي"[2].

03- مرحلة الرشد (1970-1986):

لا يمكن القول ان هذه المرحلة شبيهة بمصطلح الرشد الذي عادة ما يقترن بالبلوغ، المقصود بالرشد هنا هو كما يقول سعيد علوش هو الاهتمام الجدي بالحقل الذي يرتبط بالدراسات المقارنة

---

[1]- سعيد علوش: مدارس الأدب المقارن، ص228.

[2]- بوسكين هجير ، بدايات الدّرس المقارن الجزائري – قراءة في جهود "جمال الدّين بن الشّيخ" في مجال نقد الاستشراق والتّرجمة، ص360.

في الثقافة العربية، فبعد أن فتح هذا المجال محمد غنيمي هلال جاءت محاولا كلا من أحمد طاهر مكي وطه ندا وسعيد علوش وعبد القادر بوزيدة وغيرهم ممن أرادوا رسم خريطة خاصة بالدرس المقارن في ثقافتنا فقد بدأ كما يقول سعيد علوش الانفتاح الجدي للثقافة العربية على الدراسات الإيرانية والغربية "نلاحظ ازدهارا خاصا لهذا النوع من الدراسات(العربية، الإيرانية) على خلاف خجل الدراسات (العربية، التركية) ويأتي هذا كنتيجة لأبحاث فيلولوجية سابقة عن علاقة اللغتين والتي ما لبثت ان تحولت إلى دراسة للصلات فعل تواجد أقلية شيعية في لبنان وبلدان عربية أخرى والمتأمل في حقل الدراسات المقارنة(العربية، الإيرانية) يجد انها قطعت شوطا كبيرا مع انحصار موضوعات البحث في قصة المعراج، المجنون، المقامات..."[1]

مثّل هذه المرحلة انجازات كلا من عبد السلام كفافي وطه ندا هذا الأخير كتب كتابا مهما تحت عنوان الأدب المقارن قال في مقدمته "من الواضح بعد هذا أننا حين ندرس الأدب المقارن نشق طريقا مغايرا لطريق الأوروبيين تختلف فيه مادة الدراسة وبواعثها وأهدافها فاللغة العربية وما اتصل بها من لغات وآداب تأثرت بها وأثرت فيها ولا يمنعنا هذا من أن نشير عند الضرورة إلى تلك الظواهر الأدبية التي انتقلت من الآداب الاسلامية إلى الأوروبيين"[2]، يتطرق هذا الكتاب إلى عدة مواضيع كلها تصب في حقل الأدب المقارن مركزة على علاقة الأدب العربي بالأدب الفارسي والتركي هذه العلاقة الوطيدة التي ربطت بين الأدبين عرف من خلالها الأدب العربي أحد النوادر

[1]- سعيد علوش: مدارس الأدب المقارن، ص249.

[2]- طه ندا : الأدب المقارن، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1991، ص06.

التي مازالت خالدة ليومنا هذا وهي قصص **ألف ليلة وليلة** وكذا **كليلة ودمنة** لابن المقفع، ودراسة طه ندا لهذه العلاقة كان غرضه تجاوز مفهوم المقارنة التي أسست لها المدارس الأوروبية فهو يدعو إلى "التجاوز وهو تجاوز لا يتم إلا عبر المرور من قناة هذه الدراسات عند الأوروبيين، وكي تستقيم الدراسات المقارنة في ثقافتنا لابد من تركيزنا على حقل المجتمعات الإسلامية-إيران وتركيا- أي أن الدرس المقارن العربي عليه أن يحمل سمات الخريطة التي ترسمها التأثيرات الإسلامية"[1]

أسئلة التقويم الذاتي:

- ✓ مرّ الأدب المقارن في الثقافة العربية بعدة مراحل تحدث عن هذه المراحل مبيّنا الفرق بينهم؟
- ✓ عد إلى الكتب الآتية وحاول التعمق أكثر في الدراسات المقارنة في الثقافة العربية:

1. عزالدين المناصر: الأدب المقارن في الجامعات العربية.
2. سعيد علوش: مدارس الأدب المقارن.

[1]- سعيد علوش: مدارس الأدب المقارن، ص255.